مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 29، أكتوبر 2021، ص - ص: 401 – 416
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المدرسة الأشعرية في بلاد المغرب وأثرها في وحدة المنطقة واستقرارها
Al-Ash'ari school in the Maghreb and its impact on the unity and stability of the region

طالب دكتوراه عمر مسعودي[1] **أ.د/ عبد الكريم رقيق**
كلية العلوم الإسلامية – جامعة باتنة 1
omesoudi@gmail.com akreguig@yahoo.fr
مخبر الفقه الحضاري ومقاصد الشريعة

تاريخ الإرسال: 2020/05/20 تاريخ القبول: 2021/05/20

الملخص:
يدرس هذا البحث: المدرسة الأشعرية في بلاد المغرب ودورها في وحدة المنطقة واستقرارها، من خلال البحث في كيفية تشكل الفكر الأشعري في بيئته الأولى، وكيفية انتقاله وانتشاره في بلاد المغرب، وكما يتطرق البحث إلى ذكر الفرق العقدية التي سبقت الفكر الأشعري إلى تلك المنطقة، ويهتم كذلك بالترجمة لأبرز علماء المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي، وتوضيح مكانتهم ودورهم في انتشار الفكر العقدي الأشعري، علماً أننا نستشرف من خلال هذا كله الوقوف على مكانة الفكر العقدي الأشعري هناك، تأسيساً لفكر إسلامي متقبل للآخر، الأمر الذي يساهم في وحدة المنطقة واستقرارها.
الكلمات المفتاحية: الأشعرية؛ المغرب؛ الوحدة؛ الاستقرار.

Abstract:
This research studies: the Ash'ari school in the Maghreb and its role in the unity and stability of the region, by researching how the Ash'ari thought was formed in its first environment, and how it was transmitted and spread in the Maghreb, and the research also addresses the mention of the ideological difference that preceded the Ash'ari thought to that region, and it is concerned Likewise, by translating the most prominent scholars of the Ash'ari doctrine in the Islamic West, and clarifying their position and role in the spread of Ash'ari doctrinal thought, noting that through all this we are looking forward to standing on the status of Ash'ari ideology there, establishing an Islamic thought that accepts the other, which contributes to the unity and stability of the region.
Key words: Ash'ari; Morocco; Unit; Stability.

مقدّمة:

تعتبر المدرسة الأشعرية من أهمِّ المدارس العقدية التي عرفها الفكر الإسلامي، وقد كان أوَّلُ ظهور لها بالمشرق الإسلامي، مع أبي الحسن الأشعريِّ، الذي تلقت أغلب اجتهاداته العقدية القبول لدى مختلف المجتمعات الإسلامية، ومردُّ ذلك إلى تمكُّنه من تجاوز إشكالية التوفيق بين العقل والنقل، وفق نهج قويم،

[1] – المرسل المؤلف.

انعكس على الجانب العملي الواقعي لدى الناس (اجتماعياً، ثقافياً، سياسياً، سلوكياً)، ومنه عظم شأن العقيدة الأشعرية وانتقل صيتها إلى باقي الأقطار الإسلامية الأخرى - الغرب الإسلامي-.

إنَّ المتأمِّل في المدرسة الأشعرية المغاربية يجدها لا تختلف عن نظيرتها في المشرق، نظراً لما ساهمت به من أجل تعضيد تماسك لحمة الذَّات المغاربية، وبناء الفرد والمجتمع بالغرب الإسلامي، لأن الواقع الإسلامي في ذلك الزمن كان يعاني من شتى مخلفات الغلو والتطرف بنوعيه الفكري والمادي، فجاءت العقيدة الأشعرية باحثة في سبل تجاوز ذلك، والوصول إلى وحدة المنطقة واستقرارها، وهو ما اهتمَّ به علماء المدرسة الأشعرية المغاربية، من أمثال: محمَّد بن خلف المعافري (أبو الحسن القابسي)، عثمان بن عبد الله السلالجي، أحمد بن عبد الله الزواوي، محمد بن يوسف السنوسي، ومنه فقد تمحورت إشكالية البحث حول سؤالين رئيسين؛ هما:

1. ما هي دواعي تبني مجتمعات بلاد المغرب للعقيدة الأشعرية؟
2. ما مدى إسهام أعلام المدرسة الأشعرية في وحدة واستقرار المنطقة؟.

أهمية الدراسة:

تكتسي هذه الدراسة أهمية بالغة تكمن في الاطلاع على المشهد التاريخي للعقيدة الأشعرية في بلاد المغرب، وكيف كانت تمثل عامل وحدة وتعايش واستقرار، والتي بها حظيت الشخصية المغاربية بمقومات وهوية الوسطية والاعتدال ونبذ الغلو والتطرف.

الدراسات السابقة:

إننا قد وجدنا أقرب الدراسات إلى موضوع بحثنا دراسة الدكتور عمار جيدل بالاشتراك مع طالب دكتوراه محمد عبد اللطيف شافعي بعنوان: المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري، وقد تناولت الدراسة معالم الوسطية عند المدرسة الأشعرية المغاربية، وتحدثت عن المساهمة الحضارية لها، وهناك دراسة أخرى للدكتور توفيق مزاري عبد الصمد بعنوان: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي خلال القرن السادس الهجري، وقد تحدثت عن عوامل انتشار المذهب الأشعري بالغرب الإسلامي.

أهداف الدراسة:

1- تقديم دراسة تأصيلية لأسباب انتشار العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب.

2- الوقوف على الأسباب والعوامل الرئيسية وراء بقاء العقيدة الأشعرية ببلاد المغرب واندثار غيرها من العقائد.

3- عرض تراجم أساطين الفكر الأشعري ببلاد المغرب والوقوف على مدى إسهاماتهم في تثبيت وترسيخ الفكر الأشعري في أذهان سكان الغرب الإسلامي.

4- معرفة الدور الريادي والحضاري للعقيدة الأشعرية ببلاد المغرب ومدى إسهامها في وحدة واستقرار المنطقة.

أولاً: المذاهب العقدية التي تداولت على الغرب الإسلامي

يبدو أن حضور المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي كان له حضورٌ شبيهٌ بحضوره في الشرق الإسلامي، إذ إنه قد جاء مؤصِّلاً ومرجِّحاً لأقواله العقدية بعد أن سبقته آراء وأقوال عقدية لمذاهب ظهرت قبله مثل: الشيعة، الخوارج، المعتزلة، حتى أصبح المذهب الأشعري مقوماً أساسياً من ناحية كونه تراثاً عقديّاً يحدد وحدة هوية المغرب العربي، ذلك أن الترصد التاريخي للمضامين العقدية لبلاد المغرب؛ يتطلب

منا المرور على المحطات التاريخية لتلك المذاهب العقدية التي توالت على بلاد المغرب، وصولا إلى عوامل استقرار تلك البلاد بالأخير على التوجه الأشعري، الذي استمر إلى يوم الناس هذا.

تعد فرقة الخوارج من بين الفرق الكلامية الأولى التي تمكنت من أن تصل بأفكارها إلى المغرب العربي، وذاك كان في فترة حكم الخليفة الأموي هشام بن عبد المالك الذي ضَيَّق الخناق عليهم في المشرق، فلجأوا إلى بلاد المغرب[1]، فاستطاعوا أن يكوِّنوا أتباعاً ومؤيِّدين إلى أن كوَّنوا دولتين بالمغرب هما: دولة بني مدرار التي أقامها الصفرية بسجلماسة سنة 140هـ، والدولة الرُّسْتمية التي أقامها الإباضية بتاهرت 161هـ[2]، وأما المعتزلة فقد وصل تأثيرها إلى بلاد المغرب في أيام الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، وقد كان يطلق على الفئات التابعة لها هناك اسم الواصلية[3]، علما أن وصول الاعتزال إلى بلاد المغرب لم يكن بمحض الصدفة، وإنما هو نتاج جهد المبعوثين من قبل واصل بن عطاء - مؤسس مذهب الاعتزال- إلى المناطق التي انتشر فيها الفكر الاعتزالي؛ حيث بعث عبد الله بن الحارث إلى المغرب فأجابه الناس[4]، وقد نتج عن دخول المذهب الاعتزالي إلى بلاد المغرب عدة صراعات ونزاعات، ذلك أن محنة خلق القرآن التي اضطهد على إثرها كثير من العلماء في بلاد المشرق، قد وصل تأثيرها إلى بلاد المغرب، وتمثلت في الصراع بين الأحناف على اعتبار أن بعضهم كان متبعاً للمذهب الاعتزالي والمالكية بصفتهم ممثلين لمذهب أهل السنة والجماعة، وعليه فإنه لما تبنَّى الأغالبة مبادئ الاعتزال وتولى القضاء القاضي الحنفي ابن أبي الجواد نادى بالقول بخلق القرآن، وأخذ يمتحن علماء وفقهاء القيروان، ومن بينهم الإمام سحنون الذي امتحن في حضرة الأمير فثبت على قوله من أن كلام الله غير مخلوق، فغضب القاضي ابن أبي الجواد وأرد قتله، لولا رفض الأمير ذلك واكتفى بعقابه حيث أوقفه عن الإفتاء وأمره بأن يلزم داره[5].

لكنه مع هذا الوضع الدال على وقوع معتزلة المغرب في بعض التجاوزات غير مرغوب فيها، إلا أن حلقات الجدال العقدي والسجال العلمي الذي أضفاها الفكر الاعتزالي على ثقافة المغرب الإسلامي، قد ساهمت في اتجاه مقابل، في خلق حلقات التعايش وتأسيس أدبيات المناظرة والحوار[6]، إلا أن اقتران الاعتزال بالمذهبية الحنفية جعل علماء المالكية بالمغرب يرمونهم بقوس واحدة، الأمر الذي أدى إلى ضمور الاعتزال بضمور المذهب الحنفي، ثم إن استقواء الاعتزال في بلاد المغرب بواسطة سلطة الأغالبة كان له رد فعل كذلك، تمثل في تراجع انتشار الاعتزال نتيجة أفول سلطة الأغالبة، التي حل محلها الحكم الفاطمي الذي مارس عدة أشكال من العنف ضدهم وضد غيرهم من الفرق والمذاهب المتداولة بين الناس[7].

وأما الشيعة فقد كانت بدايات وصول مذهبها إلى بلاد المغرب، عن طريق أبي عبد الله الشيعي الذي صاحب وفد كتامة من الحجيج إلى بلاد المغرب، والذي كان يخبرهم بأحقية علي وبنيه بالإمامة، ثم إن إدريس الأول الذي يعد المؤسس الأول لدولة الأدارسة كان من أئمة الزيدية، مما زاد من حظوة وحب أهل المغرب لآل البيت[8]، وهذا كله كان تمهيداً لقيام الدولة العبيدية (الفاطمية) سنة 296هـ في بلاد المغرب[9]، التي هوت أمامها ثلاث دول: دولة بني الأغلب (الأغالبة)، ودولة بني رستم (الرستمية) ودولة بني مدرار (التابعة للخوارج الصفرية)[10]، الوضع الذي شكل خطراً على الفكر السني آنذاك، والذي أدى إلى ظهور حركات التمرد ضد الحكم الشيعي، مما دفع بالنائب عن الحاكم الشيعي بالمنطقة المعز بن باديس إلى إرسال الجيوش صوب القيروان، التي كانت تعتبر قبلة أهل السنة، فنهبوا دكاكينها وأحرقوا شوارع الأسواق بها، وبهذا كسرت شوكة أهل السنة[11]، إلى حين ضعفت شوكة الشيعة في بلاد المغرب وزال حكمهم بها الذي

كان من أهم أسبابه انتقال عاصمة الحكم الفاطمي إلى مصر[12]، ومع زوال الحكم السياسي الشيعي في بلاد المغرب انقشع الوجود الفكري الشيعي معه، مع بقاء بعض آثاره إلى حد الساعة[13].

ومما يمكن أن يستخلص مما سبق ذكره أنه مع وجود المشارب الفكرية والعقدية وتعددها ببلاد المغرب، قد ازدادت حدة الصراع بنوعيه الفكري والدموي بين الدول القائمة هناك، ذلك أن الواحدة من تلك الدول كانت تتبنى المبادئ العقدية لإحدى تلك الفرق الكلامية، وبالمقابل تضطهد الفرق الأخرى، وتمارس في حقهم شتى أصناف التعسف والتشدد، وهو ما زاد حدة الصراع الفكري بينها، إلا أن ذلك الصراع على الرغم من هذا كله، فقد ساهم بطريقة أو بأخرى، في إيجاد جو فكري يتسم بالجدل والمناظرة في بعض الأحيان، والحوار والتعايش في أحيان أخرى، الأمر الذي مهد إلى انتشار الفكر العقدي الأشعري ببلاد المغرب وتأقلم أهله معه، وهو ما سنقف عليه في الجزئية التالية من هذا البحث.

ثانياً: السياق التاريخي لتَّمذهب الأشعري ببلاد المغرب

تعددت المذاهب الفقهية والفرق العقدية في بلاد المغرب كتعددها من قبل ببلاد المشرق الإسلامي، على اعتبار أن الفرق التي ظهرت في المغرب الإسلامي كانت تسير على خطى سير نظيراتها في المشرق، ولعل أبرز معتقد برز وثبت واستمر عطاؤه في مختلف الربوع الإسلامية، العقيدة الأشعرية التي أسس لها ووضع قواعدها الإمام أبو الحسن الأشعري.

أبو الحسن الأشعري الذي عايش مرحلة فكرية أصبح العقل فيها مدار كل شيء عند بعض الفرق الإسلامية، حين جنحوا إلى أسبقية العقل على النقل، وغدا عندهم الوحي محض شيء ثانوي مع العقل، وفي الطرف المقابل لذاك الاتجاه العقلي وجد توجه آخر يميل إلى الجمود على القراءة الحرفية لنصوص الوحي، ونبذ أي نوع من أنواع التأويل سواء التفصيلي أو الإجمالي، مع تهميش تام للعقل وعدم إعطائه أي دور في الفهم والتأويل، وقد مثل الاتجاه الأول على الأغلب فرقة المعتزلة، ومثل الاتجاه الثاني فرقة المجسمة والمشبهة، وبمنهجهم هذا اختل ميزان منهج دراسة العلوم عند المسلمين، الذي بدوره أثر على العلوم في حد ذاتها، التي بدورها أثرت على مسار حياة عامة المسلمين، فعصفت بهم الخلافات والنزاعات والصراعات، وبدأت تظهر فيهم نعرات الشتات والانقسام بعد أن كانوا أمة واحدة، تجمعها كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

وقد لبث الوضع هكذا إلى مشارف القرن الثالث، إلى أن ظهر العالم الجليل أبو الحسن الأشعري، الذي كان في أول أمره على المذهب الاعتزالي، لكنه تخلى عنه، لِما رأى فيه من جنوحٍ في الاعتماد على العقل وإهمال للنص، فجنح إلى وضع منهج وسط، أرجع فيه العقل الاعتزالي إلى حدوده الأصلية، وأتى إلى الوحي فرفع عنه الجمود الحرفي الذي ألصق به من قِبَلِ المشبهة والمجسمة، جاعلاً مما دعت الضرورة إلى تأويله قابلاً للتأويل «وبهذا المنهج استطاع الأشعري أن يصدر أحكاماً في قضايا العقائد في جوٍ من الاعتدال والصفاء بعيداً عن التهور والاندفاع»[14]، فحينما اعتدل الإمام الأشعري في منهجه القائم على العلاقة التكاملية بين العقل والنقل، دون الميل إلى أي طرف منهما على حساب الآخر، انعكس ذلك المنهج على القضايا العقدية التي انفرد بها في مذهبه، تلك القضايا التي اكتنفتها الوسطية والاعتدال، ولذلك ناصره واتبعه فيها كبار العلماء كأبي بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، والإسفراييني وغيرهم من الأعلام[15].

فبنظرة عابرة لسيرة أبي الحسن الأشعري يفهم القارئ أن طريقة أبي الحسن قد أخمدت الصراع المحتدم بين الفرق الإسلامية، التي وصل بها الأمر لدرجة تكفير بعضها البعض، فقابل الإمام الأشعري ذلك التطرف الفكري بأن مات وهو لا يكفِّر أحداً من أهل القبلة[16].

فالسمة التي اصطبغ بها المنهج الأشعري على طول وجوده التاريخي، هو امتيازه بالدفاع والحجاج عن المبادئ والثوابت العقدية الإسلامية، من خلال محاولة تصحيح رؤى الفرق الإسلامية و الملل والنحل الأخرى، وفي هذا الإطار جاء اختيار المغاربة لها، حيث جنحت بهم إلى الاعتقاد القويم والسليم من البدع والمستحدثات؛ ذلك أن الفكر الأشعري قد جاء إلى بلاد المغرب في ظروف فكرية عقدية تضاربت فيها الآراء العقدية البدعية (الشيعة، المعتزلة، الخوارج، المرجئة)، مما جعل بلاد المغرب تعيش مرحلة تاريخية تسير على صفيح ساخن من الغلو والتطرف الفكري، الأمر الذي جعل العقيدة الأشعرية خلاصاً من ذلك وصمام أمان يؤسس ويؤصل لمنهج فكري وسطي بعيد عن مطبات التطرف والغلو[17].

ولذلك فالمتتبع والممحص في تاريخ دخول الفكر الأشعري إلى بلاد المغرب يجده مر بمراحل عدة يمكن حصرها في مرحلتين:

1- مرحلة التأثير والتأثر: فبالرغم من أن المذهب الأشعري قد ظهر بالمشرق الإسلامي إلا أن وصوله إلى المغرب الإسلامي لم يتأخر، لأن بدايات تأثر المغاربة بأفكار وعقائد الأشاعرة كانت على يد أحد المغاربة المتقدمين والذي يعرف بأبي ميمونة دراس بن إسماعيل الفاسي ت 357هـ، الذي عايش زمن انتشار الأشعرية في بلاد المشرق، ودرس على يد تلامذة أبي الحسن الأشعري، فلما عاد إلى بلاد المغرب استقر بها وأخذ ينشر العقيدة الأشعرية هناك[18]، وقد عاصره كذلك الشيخ إبراهيم بن عبد الله الزبيدي المعروف بالقلانسي ت 359هـ الذي كان يعد من أهم مشايخ الأشعرية بالمغرب، بحجة أنه قد نسبت إليه الكثير من آراء الإمام الأشعري التي أدخلها إلى القيروان بعد عودته من بلاد المشرق[19]، ومن الأعلام كذلك ممن تكبد العناء والمشقة طلباً للعلم والمعرفة أبو الحسن القابسي الذي درس العقيدة الأشعرية على بعض تلاميذ الباقلاني بالمشرق ودرس معها كذلك أحكام وأصول المذهب المالكي[20]، ثم عاد بعد ذلك إلى بلده القيروان وعمل على نشر وتعليم الناس أحكام وقواعد المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، وألف رسالة في فضل أبي الحسن الأشعري، التي تعد من بواكير التآليف المغربية حول المذهب الأشعري[21]، مثله مثل أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الذي ارتحل إلى المشرق وأخذ علم الفروع والأصول عن بعض أشاعرة المالكية هناك، ولما عاد إلى القيروان عمل على تعليم ما تعلمه من فقه وعقيدة للناس وألف رسالة في الدفاع عن أبي الحسن الأشعري[22].

مع العلم أن الكثير من هؤلاء الأعلام الذين انتقلوا إلى أخذ العلم من بلاد المشرق، قد تأثروا بأشعرية الإمام الباقلاني أكثر من غيرها، وذلك راجع إلى جمعه بين المذهبين الأشعري والمالكي، بحيث آلت إليه إمامة المذهبين في عصره، وأما غيره من أعلام المذهب الأشعري مثل الجويني والغزالي فلم يكن لهم تأثير في المغاربة كالذي كان له، لأنه سابق لهم زمنياً لاعتباره من الطبقة الثانية ضمن طبقات الأشاعرة، ثم إن كلا من الغزالي والجويني كانا يتبعان المذهب الشافعي في الفقه، وأما الباقلاني فقد كان يأخذ بالمذهب المالكي، وهو ما وطد علاقة التأثير والتأثر بينه وبين المغاربة[23]، فلما كان يأخذ عنه المغاربة الفقه وعلومه، أخذوا مع ذلك مسائل العقيدة الأشعرية وأسسها[24].

ومن جهود الإمام الباقلاني في نشر العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب أنه أرسل بعض تلاميذه لنشر المذهب الأشعري هناك، ومنهم أبو عمران الفاسي الذي صار أحد أعلام الفكر الأشعري والمذهب المالكي ببلاد المغرب، ومن الذين تأثروا كذلك بفكر الباقلاني العَلَم الأندلسي محمد الأصيلي الذي تتلمذ أيضا على أيدي تلاميذ الباقلاني، ومنهم كذلك أبو بكر محمد بن وهب القبري الذي انتقل إلى المشرق وتعلم علم الكلام والجدل على تلاميذ الباقلاني ثم عاد إلى بلاد المغرب معلماً ومدرساً[25].

ومن خلال هذا كله يتبين لنا أن علاقة التأثير والتأثر العقدي بين أعلام المشرق الإسلامي ومغربه، قد تجلت في جانبين:

الجانب الأول: هو أن ينتقل عَلَم من أعلام بلاد المغرب إلى المشرق ويأخذ من هناك أصول العلم وفروعه أي أحكام الفقه المالكي وقضايا العقيدة الأشعرية، ومن ثمة يرجع إلى بلده ناشرا ومعلما لما علمه ودرسه.

والجانب الثاني: هو أن يرسل أعلام المذهب الأشعري بالمشرق بعض طلبتهم إلى بلاد المغرب لنشر تعاليم وأسس العقيدة الأشعرية، وهو ما قام به الباقلاني كما سبق ورأينا، وعليه كان له تأثيرًا كبيرًا في نشر العقيدة الأشعرية هناك أكثر من غيره من أعلام الأشاعرة مثل الغزالي والجويني، والسبب المباشر في ذلك هو كونه مثل إمامة المذهبين في عصره - المالكي والأشعري-فأخذ عنه طلابه المذهبين معاً، ثم إن المغاربة نظراً لأسبقية تأثرهم بالمذهب المالكي دون غيره من المذاهب فقد كانوا في خضم أخذهم القضايا والآراء الفقهية المالكية، يأخذون القضايا العقدية الأشعرية.

2- مرحلة الترسيم والانتشار: بعد المرحلة السابقة تأتي مرحلة حاسمة في تاريخ الفكر العقدي الأشعري في بلاد المغرب، وهي المرحلة التي تم فيها اعتماد الفكر الأشعري كمذهب رسمي منتخب من قِبل السلطة الحاكمة، وقد كانت بداية الدخول في هذه المرحلة مع الإمام المهدي بن تومرت، الذي انتقل إلى بلاد المشرق وأخذ العقيدة الأشعرية من علمائها، وفي ذلك يقول عبد المجيد النجار: «لما رجع ابن تومرت من رحلته إلى المشرق قدر له أن يكون الانتشار الأوسع للأشعرية على يديه...وقد توفرت جملة من الأسباب الأساسية أتاحت لهذا الانتشار نذكر منها بالأخص...ما توفر للمهدي وخلفائه من سلطة سياسية استعملت في نشر آراء المهدي»[26]، والمقريزي كذلك في خضم حديثه عن أسباب انتشار المذهب الأشعري في البلاد الإسلامية يتحدث عن العامل الرئيسي وراء ذيوع وانتشاره في بلاد المغرب فقال: «واتفق مع ذلك توجه أبي عبد الله محمد بن تومرت أحد رجالات المغرب الذين انتقلوا إلى العراق، وأخذ عن أبي حامد الغزاليّ مذهب الأشعريّ، فلما عاد إلى بلاد المغرب وقام في المصامدة يفقههم ويعلمهم، وضع لهم عقيدة لقفها عنه عامّتهم، ثم مات فخلفه بعد موته عبد المؤمن بن عليّ القيسيّ، وتلقب بأمير المؤمنين، وغلب على ممالك المغرب هو وأولاده من بعد مدّة سنين، وتسموا بالموحدين... فكان هذا هو السبب في اشتهار مذهب الأشعريّ وانتشاره في أمصار الإسلام»[27]، وعليه يمكن رصد هذا الذيوع والانتشار في ما تملكه السلطة السياسية من مؤهلات معنوية ومادية، تساعد على نشر أي فكر في أي زمان وأي مكان، وفي مدة وجيزة من الزمن، ولذلك نجد ابن خلدون يذكر أسلوب ابن تومرت في نشر العقيدة الأشعرية، ويبين لنا أنه لم يقتصر على الجانب الدعوي القولي وإنما قرنه بالجانب العملي الفعلي، وفي ذلك يقول عن ابن تومرت أنه: «فطن أهل المغرب في ذلك وحملهم على القول بالتأويل، والأخذ بمذاهب الأشعرية في كافة العقائد، وأعلن بإمامتهم ووجوب تقليدهم وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة في التوحيد»[28].

ومنه يتجلى لنا أن تبنى ابن تومرت ومن جاء بعده من أمراء الدولة الموحدية العقيدة الأشعرية، جعل منها مذهبا رسميا تعتمده الدولة دون غيره من المذاهب، ذلك الترسيم هو الذي ساهم في انتشار المذهب الأشعري في سائر أقطار المغرب العربي واندثار وانحصار غيره من المذهب العقدية، وبالأخص ما تعلق بالاتجاه الحرفي الظاهري -الذي اصطبغت به بلاد المغرب في عصر المرابطين- والذي كان قد سيطر على الساحة الفكرية المغربية، ووفق ذلك الاحتضان السياسي أكتمل وأحكم رباط الحزام الجامع بين أهل المغرب، فإضافة إلى المذهب المالكي الذي كان يجمعهم انتموا إلى المذهب الأشعري بشكل رسمي، وهكذا تواءم وارتبط الجانب العقدي بالفقهي وتوحد الفكر المغاربي، تلك الوحدة هي التي عصمته في فترات لاحقة من الفرقة والشتات والنزاع والاقتتال، ومكنته من الابتعاد عن ممارسات الغلو والتطرف.

وما يجب التأكيد عليه هو أن عصر الموحدين قد عرفت فيه بلاد المغرب حالة الاستقرار العقدي، انعكست في شكل منظومة عقدية مميزة، تمثلت في انتشار كتب الأشاعرة خاصة كتب الغزالي، وظهر الاهتمام بها دراسة وتدريساً، وتغيرت عندئذ معالم الفكر المغربي من طور منابذة الرأي والعقل إلى طور عقائدي أكثر توازناً واعتدالاً[29].

وبالإضافة إلى ذلك فمن العوامل المساعدة أيضا على ترسيخ العقيدة الأشعرية في بلاد المغرب هو الطريق الذي سلكه ابن تومرت، وهو طريق تأليف المؤلفات، ومن ذلك تأليفه كتاب المرشدة وكتاب أعز ما يطلب، المشتملان على رسائل في الأصول والفقه والتوحيد[30]، وقد كان يتولى تدريسها للناس ولطلبة العلم بنفسه، وباللغة التي يفهمون، وفي ذلك الشأن قال ابن خلدون: «فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسمائة وبنى رابطة للعبادة اجتمعت إليه الطلبة والقبائل يعلمهم المرشدة في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره في محجته »[31]، ثم إن ما قام به ابن تومرت والسلاطين من بعده من ترسيم الأشعرية في بلاد المغرب وجعل المذهب الأشعري يمتد صيته وتأثيره إلى كافة البقاع التي امتد إليها سلطان الدولة الموحدية، من خلال إلزامهم العامة قراءة وحفظ كتاب المرشدة، وحملهم على ذلك بالقوة[32]، وفي ذلك يقول عبد المجيد النجار: «ويلزم الناس في الديار بقراءة العقيدة التي أولها اعلم أرشدنا الله وأياك-مقدمة كتاب المرشدة- وحفظها وتفهمها، وأشمل في هذا الرجال والنساء والأحرار والعبيد وكل من توجه عليه التكليف، إذ لا يصح لهم عمل ولا يقبل منهم قول دون معرفة التوحيد»[33].

وهذا مما يمكن أن يؤاخذ عليه ابن تومرت ومن جاء بعده من الأمراء، إذ إنه قد بدت في بعض أقوالهم وأعمالهم بعض علامات الغلو والتطرف ضد المخالف، وإلا كيف يحق لهم أن يحملوا الناس على اتباع العقيدة الأشعرية بالقوة؟!، ولذا يذكر ابن خلدون أن ابن تومرت لما أخذ البيعة لقب أصحابه بلقب الموحدين بمقابل خصومه، المنطوين تحت لواء دولة المرابطين الذين اتهمهم بالتشبيه والتجسيم[34]، وهنا يمكن أن ينظر إلى فعله ذاك على أنه تطرف فكري، دفعته إليه المصالح والأطماع السياسية، التي دوما تحاول أن تستغل العوامل الدينية كمطية من أجل تحقيق رغباتها السياسية، إذ إن ابن تومرت رفع هذه التهم في وجه دولة المرابطين، من أجل أن يسهل عليه إزاحتها وإزالتها من الوجود الفكري أولاً والسياسي ثانياً.

وقد تطور ذلك التطرف الفكري مع الموحدين حينما ظهروا في ثوبهم العسكري، الذي كان يهدف إلى القضاء على المرابطين الذين يعدون في نظرهم دولة بدعية خارجة عن الملة والدين، ومنه جاء أمر ابن تومرت لأصحابه أن يحاربوهم أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر وإقراراً بإمامة المهدي المعصوم (ابن تومرت)[35]، وهذا يعد بداية للتطرف الموحدي، لأن ما في الشريعة الإسلامية ينص على أنه لا يجوز لأي

جماعة أن تنصب نفسها في محل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، في ظل وجود حكم قائم في البلاد، ثم إن انتشار البدع والشركيات كما زعموا، لا يبيح لهم قتال ومحاربة من وقع في فعل ذلك.

لكن هذا الأمر الذي وقع فيه ابن تومرت ومن جاء بعده من الأمراء وإن كانوا يتبنون الفكر الأشعري، فهذا لا يعني أن الفكر الأشعري يأمر بالغلو والتطرف ضد المخالفين، ودليل هذا أن ذلك التطرف قد زال مع زوال دولة الموحدين وبقي الفكر العقدي الأشعري على أصوله التي وضعها أساطينه من علماء بلاد المشرق وتلقفها عنهم علماء المغرب، تلك الأسس والمبادئ التي تحث على احترام المخالف وتقبل وجوده والتعايش معه، مقتصرين على أسلوب الحوار والمناظرة معه وفق ضوابط وآداب الحوار.

ومن باب الإنصاف فإن سياسة الدولة الموحدية - على الرغم من كثير من الممارسات العدوانية التي وقعت فيها- قد كانت تسعى إلى جعل بلاد المغرب تحت مظلة واحدة فكريا وسياسيا، من خلال محاولة القضاء على أسباب الفرقة والنزاع، يقول ابن تومرت: « وأما أصل الفتن هي الافتراق وعدم الاجتماع، وعدم الاتفاق، وحفظ سواد الحروف، وتضيع حدود القرآن، واتباع رسوم العبادات، وإهمال معانيها»[36]، ولعل خصوصية الوحدة والاتفاق التي تحدث عنها ابن تومرت قد أضفت على المجتمعات المغربية مرجعية فكرية دينية واحدة، أضحت بها العقيدة الأشعرية منهلاً حيوياً يضبط مرجعية الإنسان المغربي وذهنيته، تلك المرجعية التي قطعت مسافات معرفية من أجل أداء وظيفة تاريخية تضمن بناء نسيج فكري متجانس يضمن بدوره وحدة التراب المغاربي، الذي ظهرت ملامحه خلال فترة حكم الموحدين[37]، الذين استطاعوا بواسطة هذه المرجعية العقدية الأشعرية بداية من فترة حكم عبد المؤمن بن علي -الجزائري الأصل- أن يوحدوا بلاد المغرب تحت حكم واحد، وفكر واحد، بعد أن كان مقسماً إلى عدة دول تحكمها مرجعيات عقدية مختلفة، فجعلوا منه دولة واحدة تمتد من تونس شرقاً إلى الأندلس غرباً، في ظل خلافة واحدة، الوضع الذي جعل الغرب الإسلامي ينطوي تحت لواء المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، محققاً بذاك وحدة فكرية أكسبته شيئاً من الثبات أمام الفتن المذهبية، مثل تلك التي عصفت بالمشرق الإسلامي[38].

والخلاصة أن هذه المرحلة تعد مرحلة حاسمة ضمن مراحل انتشار العقيدة الأشعرية في الغرب الإسلامي، حيث الاعتماد والتبني بشكل رسمي من جانب السلطة الموحدية، ونشرها بين العامة والخاصة وإلزامهم بها، بعدما كانت في المرحلة التي مرت تخص الطبقة العالمة والمتعلمة فقط، ممن انتقلوا إلى بلاد المشرق لطلب العلم، فتعلموا أسس وقواعد الفكر الأشعري، ولكن مع ذلك بقيت معرفتهم بالمذهب الأشعري محصورة في حدود محيطهم الخاص، ولم ترق إلى التأثير على المستوى العام بسبب عدم تبني السلطة السياسية لتلك العقيدة، ولكن مع قيام الدولة الموحدية تحقق ذلك، وأصبحت العقيدة الأشعرية مقوماً أساسياً في وحدة الشعوب المغاربية، إضافة إلى الفقه المالكي والتصوف الجنيدي كما قال الشيخ عبد الواحد بن عاشر:

في عقد الأشعري وفقه مالك   وفي طريقة الجنيد السالك[39].

ثالثاً: تجليات الفكر الأشعري في المغرب الإسلامي أشخاص وأفكار

كان لانتشار المذهب الأشعري في بلاد المغرب عدة عوامل وأسباب منها: اعتماده وترسيمه من طرق الدولة الموحدية، إلا أن ذلك لم يكن ليستمر بعد زوال حكم الموحدين، لولا ظهور ثلة من العلماء والشيوخ، واتباعهم للعقيدة الأشعرية ودفاعهم عنها من أمثال: محمَّد بن خلف المعافري (أبو الحسن القابسي)، وعثمان بن عبد الله السلالجي، وأحمد بن عبد الله الزواوي، وعبد الرحمن الثعالبي، ومحمد بن

يوسف السنوسي، وعبد الكريم المغيلي، وأحمد المقري التلمساني؛ فما كتب هؤلاء العلماء وغيرهم من منظومات، وشروحات وحواشي، جاءت مرسخة للعقيدة الأشعرية ومقربة لها من أذهان طلبة العلم وعامة الناس، وهكذا مهدت لسيطرة العقيدة الأشعرية على الساحة الفكرية العقدية المغاربية، وهو ما أدى إلى التزام أهل المغرب بما كتبوا من مدونات ومنظومات، وأضحى ذلك مصدراً للمرجعية العقدية الأشعرية المغاربية، وانطلاقاً من هذا سنعرِّج على تراجم بعض هؤلاء العلماء الذين كان لهم الفضل في ترسيخ وتثبيت المعتقد الأشعري في أوساط بلاد المغرب.

1- أبو الحسن علي بن محمَّد بن خلف المعافري: المعروف بأبي الحسن القابسي (324 - 403 هـ = 936 - 1012م) من أهل القيروان، ونسبته إلى "المعافرين" إحدى قرى قابس، وقد عد عالم المالكية بإفريقية في عصره [40]، الأصولي المتكلم الإمام في علم الحديث وفنونه وأسانيده، كان عليه الاعتماد، وعد مؤلفاً مجيداً ثقة صالحاً، وعلى الرغم من كونه أعمى لا يرى شيئاً فقد كان من أصح الناس كتباً وأجودهم ضبطاً، سمع وتعلم من علماء المغرب: كالأبياني وأبي الحسن بن مسرور الحجام وأبي عبد الله بن مسرور درّاس بن إسماعيل، ورحل سنة 352 هـ، فحج وسمع من حمزة بن محمَّد الكناني الحافظ والقاضي التستري وأبي زيد المروزي وأبي أحمد محمَّد بن أحمد الجرجاني، وروى عنهما البخاري، ولذلك فهو يعد أول مَن أدخل رواية البخاري إلى المغرب الإسلامي[41]، ثم عاد إلى القيروان سنة (357) وتولى الفتيا هناك وتوفي بها سنة 403هـ[42].

وله كتب عدة منها: كتاب الممهد في الفقه وأحكام الديانة، والمنقذ من شبهة التأويل، والمنبه للفطن من غوائل الفتن، والرسالة المعظمة لأحوال المتقين، وكتاب المعلمين، وكتاب الاعتقادات، وكتاب الذكر والدعاء، وكشف المقالة في التوحيد، والملخص في الموطأ، وكتاب في رتبة العلم وفضله وأحوال أهله، وكتاب أجمية الحصون، والناصرية في الرد على البكرية، وكتاب حسن الظن بالله، وكتاب في تزكية الشهود وتجريحها، وله رسالة في الورع[43].

ويعد من أهم طلبة العلم المغاربة الذين ارتحلوا إلى المشرق وأخذوا الفقه المالكي والعقيدة الأشعرية معاً، وذلك لسبب أنه أخذ الفقه والعقيدة على بعض تلاميذ الباقلاني، ثم إن توجهاته الفقهية والعقدية في كتبه -الفارطة الذكر- دالة على ذلك، وطلبته الذين تتلمذوا على يديه كلهم صاروا من بعده أعمدة في كلا المذهبين المالكي والأشعري من أمثال: أبي عمران الفاسي، وأبي القاسم البيري، وأبي بكر عتيق السوسي...الخ، فالمغرب العربي من خلال كتبه وتلاميذه أصبح يشع فقهاً بالمذهب المالكي، وعقيدةً بطريقة الأشعرية[44].

2- **عثمان بن عبد الله عثمان بن عبد الله القيسي الفاسي، أبو عمرو، السلالجي**: عالم بالأصول، من سكان فاس، قيل عنه بأنه منقذ أهل فاس من التجسيم، والسلالجي نسبة إلى جبل " سليلجو "[45]، وكان مولده نحو سنة (521هـ) وانتقل إلى فاس في مبتدأ عمره لحفظ القرآن ودراسة العلوم الشرعية بالمساجد، ثم التحق بجامع القرويين فقرأ الموطأ والمدونة والرسالة على يد أبي عبد الله محمد بن عيسى التادلي وأبي الحسن بن خليفة، وانتقل بعد ذلك إلى دراسة علم الكلام بعد ما أظهر معارضته لأفكار بعض أساتذته، فابتدأ بكتاب "الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد" لإمام الحرمين الجويني، وقد وجد السلالجي في أستاذيه "ابن حرزهم" (ت 559هـ) و"ابن الرمامة" (ت 567هـ) ما كان يتوقعه منهما، فانطلق بثبات للتعمق في علم الكلام الأشعري، ولما سافر إلى مراكش والتقى بشيخه ابن الاشبيلي كان ذلك بمثابة تعويض عن الرحلة إلى الحجاز التي لم يوفق لإكمالها، لكن مقامه بمراكش لم يطل، إذ سرعان ما عاد إلى فاس لاستكمال

ما بدأه من تدريس بها، وكانت دروسه تلقى إقبالاً كبيراً، وتوفي الإمام السلالجي (سنة 574هـ) بفاس وبها دفن[46].

وهو صاحب العقيدة البرهانية وهي عقيدة وضعها لامرأة أندلسية فقيهة اسمها " خيرونة " من الصالحات[47]، وقد لقيت برهانية السلالجي قبولا تلقائيا من طرف المغاربة، والدليل على ذلك كثرة الشروح التي شرحت بها سواء في عصره أو بعده، وسواء من تلاميذه وغيرهم من المؤلفين بالمغرب ابتداءً، أو من مغاربة المغرب الأوسط والأدنى بل وحتى من الأندلس والسودان انتهاءً، إذ لم يخل قرن من القرون التي تلت وفاة السلالجي من تأليف يرتبط بالعقيدة البرهانية شرحا أو اختصارا أو نظماً أو تدريساً، وذلك لكونها تعطي تصورا عاما ودقيقا عن أصول وأركان العقيدة، ولدقة العمل الذي سلكه فيها مؤلفها وموافقتها للخط العام الذي صارت عليه عقيدة المغاربة منذ عصر السلالجي واتفاقها مع توجههم الأشعري العام باعتباره يعكس مذهب أهل السنة والجماعة[48]، «فيمكن لمن اطلع على نصها أن يؤكد أن وجازتها لم تكن على حساب مباحثها ومواضيعها، إذ إن مؤلفها كان حاذقا في اختصارها، متناولا في مباحثها لكل الجوانب العقدية التي نص عليها الإسلام، بل إن منهجه فيها وتقسيمه لموضوعاتها ينبئ عن اطلاع واسع وخبرة كبيرة بمباحث العقيدة وبمسائل علم الكلام، لهذا اندفع الشراح إلى العناية بها وأسهب المتكلمون المغاربة في توضيح فصولها وبسط قضاياها»[49].

ولذلك فقد امتازت العقيدة البرهانية بصغر حجمها، وبساطة أسلوبها، وشموليتها لمجموع ما تدور عليه العقيدة الأشعرية من مبادئ، وقد رزق هذا التأليف القبول، فكان من المقررات الدراسية في الجوامع والمدارس، وتولى كثير من العلماء شرحها، وكتب لها الانتشار في الأندلس والمغرب وتونس والجزائر، ذلك أن السلالجي قد عاصر فترة انتقال الحكم من دولة المرابطين إلى دولة الموحدين، وبما أن ذلك الانتقال السياسي قد تبعه الانتقال الفكري العقدي، فقد عد السلالجي من خلال كتاباته في المجال العقدي من أهم المساهمين في هذا التغيير، مما جعله في ذات المرتبة التي حازها أبو المعالي الجويني في المشرق، بحكم مساهمته في الوحدة العقدية لبلاد المغرب تلك الوحدة التي جاءت تابعة للوحدة السياسية[50].

3- أحمد بن عبد الله الزواوي (800- 884هـ) (1398 – 1479م) شهاب الدين، أبو العباس: متكلم، فقيه مالكي، من كبار العلماء في وقته، يقال أنه نظير عبد الرحمن الثعالبي علما وعملا، أصله من قبيلة زواوة، سكن مدينة الجزائر وتوفي بها، قال عنه الشيخ زروق بأنه كان من أعظم العلماء اتباعا للسنة وأكبرهم حالا في الورع[51]، وقال عنه السخاوي بأنه كان من المشهورين بالصلاح والعلم والورع والتحقيق توفي سنة 884هـ[52]، اشتهر بإقامة زاوية له سميت باسمه بمدينة الجزائر[53].

ويعد الشيخ الثعالبي من أبرز وأهم شيوخه الذي سار على نهجهم واقتفى أثرهم أحمد بن عبد الله الزواوي، وقد جاءت شهرته عن طريق قصيدته في التوحيد المعروفة بالمنظومة الجزائرية، والتي تسمى أحيانا (الجزائرية) فقط، وقد تداول عليها أكثر من واحد من العلماء يحللها ويشرحها ويثني على صاحبها، ومن الذين شرحوها شرحا مطولا أثناء حياة صاحبها الشيخ محمد السنوسي الذي اشتهر في وقته بالتعمق في العقائد، فقد أرسلها أحمد بن عبد الله الزواوي بنفسه إلى السنوسي وطلب منه شرحها، والمنظومة لامية وهي تبدأ هكذا: الحمد لله وهو الواحد الأزلي سبحانه جل عن شبه وعن مثل[54].

فغدت مؤلفات أحمد بن عبد الله الزواوي وبالأخص المنظومة الجزائرية، إضافة جادة في الإبداع العقدي المغاربي، حيث ضخت في الفكر العقدي المغاربي دماء جديدة، ساهمت في تثبيت العقيدة الأشعرية في فكر الإنسان المغرب الإسلامي، وفق نسق معرفي سلس وسهل الفهم والإدراك للعوام والخواص معاً[55]،

وفي ذلك أشار الإمام السنوسي إلى سبب تلقي المنظومة الجزائرية القبول من طرف الناس، فقال: "إذ هو منظوم مشتمل على طريقي هداية الخواص والعوام لأنه قد ضم فيه إلى حلاوة النظم المستميلة للطباع، تقرير الأدلة البرهانية للعقائد على التمام ثم شرحها بخطابات تصوفية تهز النفوس النائمة لتعظيم جناب الحق"[56].

إذن لاريب في أن المنظومة الجزائرية للشيخ أحمد بن عبد الله الزواوي قد أسهمت في نشر وتثبيت الأشعرية بالمغرب الإسلامي، نظراً لكونها غدت مصدراً عقدياً ومنهلاً فكرياً تلقاه العلماء والشيوخ بالقبول وأحاطوه بكثير من الشروح والحواشي ودرَّسوه لطلبتهم ولعامة الناس.

4- محمد بن يوسف السنوسي: هو الإمام محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي، ويلقب بالسنوسي نسبة لقبيلةٍ بالمغرب، ويلقب أيضا بالحسني نسبة للحسن بن علي بن أبي طالب من جهة أم أبيه، وهو تلمساني أيضا نسبة إلى بلدة تلمسان، وهو عالم تلمسان وصالحها وزاهدها وكبير علمائها، الشيخ العلامة المتفنن الصالح الزاهد العابد الأستاذ المحقق الخاشع أبو يعقوب يوسف كان مولده بعد 830هـ[57].

نشأ من الناحية العلمية على يد العديد من الشيوخ، حيث أخذ العلم عن جماعة منهم والده والشيخ العلامة نصر الزواوي، والعلامة محمد بن توزت، والسيد الشريف بن أبي العباس بن محمد الشريف الحسني أخذ عنه القراءات، وعن العالم أبي عبد اللّٰه الحباب علم الاسطرلاب، وعن الإمام محمد بن العباس الأصول والمنطق، وعن الفقيه الجلاب الفقه، وعن الفقيه الحافظ أبي الحسن التالوتي الرسالة في الفقه لابن أبي زيد القيرواني، وعن الإمام أبي القاسم الكنابشي الإرشاد لأبي المعالي الجويني في التوحيد، وأجازه الإمام أبو زيد الثعالبي في الصحيحين وغيرهما من كتب الحديث[58].

وبمقتضى هذه التعلم والتكوين الرسين أصبح الإمام السنوسي له في العلوم الظاهرة أوفى نصيب، فجمع فروعها وأصولها، لا يتحدث في فن إلا ظن سامعه أنه لا يحسن غيره سيما التوحيد والمعقول، وانفرد بعلوم الباطن بل زاد على الفقهاء مع معرفة حل المشكلات سيما التوحيد، فكان لا يقرأ علم الظاهر إلا خرج منه لعلوم الآخرة، سيما التفسير والحديث لكثرة مراقبته لله تعالى كأنه يشاهد الآخرة[59].

وقد سيطرت مؤلفات محمد السنوسي في التوحيد سيطرة تامة على الدارسين لهذا العلم، ولم يكن ذلك مقصورا على الجزائر وحدها بل تجاوزها إلى معظم الأقطار العربية والإسلامية، ويعد من أهم مؤلفاته التي كان لها الفضل في ذلك، ما يعرف بالعقائد السنوسية، وهي العقيدة الكبرى ثم اختصرها في الوسطى ثم اختصرها في الصغرى ثم في صغرى الصغرى، لكن أشهرها وأكثرها انتشاراً الصغرى واختصارها، وهي المعروفة باسم "أم البراهين"، وليس معنى هذا أن العقيدتين الأوليتين لم يهتم بهما الدارسون، ولكن معناه أن جهودهم قد تركزت في التدريس والشرح حول العقيدة الصغرى، ويليها العقيدة الوسطى فالكبرى، فأنت لا تكاد تجد عالما من علماء الفكر الأشعري ببلاد المغرب لم يدرس لطلابه (صغرى السنوسي)، وقد كثرت الشروح والحواشي على صغرى السنوسي حتى أصبحت ظاهرةً في حد ذاتها، وكأن الفكر الفلسفي والديني قد تجمد عندها، فلم يعد أحد قادرا على الخوض في مسائل التوحيد في بلاد المغرب إلا من خلال عمل السنوسي[60].

فالدرس العقدي المغاربي منذ تلك النقلة السنوسية أعلن عن تجلية معاني العقيدة السنية الأشعرية، وتقريبها للناس بأسلوب ميسر لا ينفك عن أصوله المستمدة من مصادر المعرفة الثابتة: الكتاب والسنة والعقول والأفهام السليمة، وبهذا استطاع السنوسي تأسيس مرحلة جديدة في تاريخ الفكر العقدي الأشعري

بالمغرب الإسلامي، استطاعت فيها منظوماته العقدية أن تصبح المرجع والسند الأول في تلك الأقطار يدرسها العامة والخاصة من الناس[61].

وحري بنا أن نعلم بأن الفكر العقدي الأشعري لم يكن ليكون له ذلك الصيت والانتشار في بلاد المغرب، لولا أمثال هؤلاء العلماء، فمن خلال كتبهم ومؤلفاتهم وخاصة منظوماتهم، استطاع الفكر الأشعري أن يتحول إلى اعتقاد راسخ في أذهان أناس تلك الأصقاع، وتحول مع مرور الوقت إلى صمام أمان ضد النزاعات والصراعات، وصار بمثابة حاجز فاصل يمنع تسرب شتى أنواع ممارسات الغلو والتطرف للواقع المعاش بين أهالي وسكان بلاد المغرب.

خاتمة:

خاتمة هذا البحث تتضمن جملة من النتائج والتوصيات يمكن إجمالها في الآتي:

1- على الرغم من أن بلاد المغرب مرت بها العديد من الفرق العقدية والاتجاهات الكلامية، إلا أن تلك الفرق لم يكتب لها البقاء والاستمرار، نظراً لجملة من الأسباب: أبرزها عدم تمكنها من الوصول إلى عقول وقلوب الناس، وكذا عدم استجابتها لضروريات وتطلعات المجتمع المغربي، بخلاف العقيدة الأشعرية التي استطاعت اعتماد نهج آخر، مكنها من تلقي القبول لدى عموم الناس ببلاد المغرب قاطبة.

2- إن اعتماد العقيدة الأشعرية من طرف المهدي بن تومرت ومن جاء بعده من أمراء الدولة الموحدية، كعقيدة رسمية للدولة، أدى إلى تثبيت أوصال المدرسة الأشعرية في الغرب الإسلامي.

3- قامت المدرسة الأشعرية في بلاد المغرب على أسس ومقومات عقدية متينة، مكنتها من تجاور أسباب ودوافع الخلافات والصراعات، فمدونات أعلامها ومؤلفاتهم تكشف عن مكنون ذلك التراث العقدي الزاخر بمختلف روافد الوحدة والائتلاف.

4-الناظر والمتتبع لفكر أعلام الفكر الأشعري في بلاد المغرب يجدهم يمتازون بشخصية متسامحة مع الآخر، ومرنة في تقرير أحكام التفسيق والتبديع والتكفير.

5- إن كتب ومنظومات هؤلاء الأعلام قد شكلت جملة من الروابط العلمية والثقافية، المتبادلة بين العلماء أنفسهم وكذا طلبة العلم وعوام الناس، والتي أسهمت بدورها في خلق عناصر الترابط والتواصل بين مختلق أقطار بلاد المغرب.

وفي الأخير نخلص إلى أهم التوصيات:

1- إذا كانت المدرسة الأشعرية قد ساهمت قديماً في مواجهة التوتر والفرقة ببلاد المغرب والحد من أسبابهما؛ فإنه من الضروري البحث في سبل الاهتمام بالفكر الأشعري على اعتباره عامل وحدة، يمثل المرجعية العقدية المغاربية، خاصة في وقتنا الراهن الذي أصبح يعج بالكثير من ممارسات الغلو والتطرف، والذي يرجع سببه في كثير من الأحيان إلى تضارب وتعدد المرجعيات العقدية.

2- يقع على عاتق أعلام المدرسة الأشعرية في وقتنا الحالي - بالغرب الإسلامي- التقيد والثبات على القواعد والأحكام العقدية التي قررها أسلافهم، وقوفاً عند مرونتها وتسامحها مع الآخر.

قائمة المصادر والمراجع:

- الشهرستاني: الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، 1404.
- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط01، د.س.
- تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1418.
- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988م.
- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تح: عبد الغاني أبو العزم، مؤسسة الغني، الرباط-المغرب، د ط،1997.
- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، د.م، ط15، 2002.
- أبو عمرو عثمان السلالجي: العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية مع شرح العقيدة البرهانية لابن العقباني، تح: نزار حمادي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط01، 2008.
- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م.
- شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، د.س.
- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998.
- محمد بن يوسف السنوسي: المنهج السديد في شرح كفاية المرد، دار الهدى، عين ملية-الجزائر، د.ط، د.ت.
- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط:02، 2000 م.
- إبراهيم بن أحمد المارغني، طالع البشرى على العقيدة الصغرى، تح: نزار حمادي، د.د، د.ط، 2012.
- أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي: شرح منظومة ابن عاشر، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 2004.
- رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، د.ط، 2013.
- محمد بن سالم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 1424 هـ - 2003 م.
- جمال علال البختي: عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية (دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال "البرهانية" وشروحها)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط:01، 2005.
- صالح بن قرية: عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1991.
- محمد أحميمد: الفكر الأشعري المغربي، EKutuBLtd، دم، د.ط، 2018.
- عبد الرزاق عمار: السلطة والعنف والجنس، نقوش عربية، تونس، ط1، 2014.
- سعيد عبد اللطيف فودة: تَهْذِيْبُ شَرْحِ السـنُـوسِيَّةِ أُمُّ البَرَاهِيْنِ، دار الرازي، عمان-الأردن، ط02، 2004.
- مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط:11، 1996.
- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1983.
- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع17، 2017.
- نذير برزاق، خلفات مفتاح: العقيدة الأشعرية مرجعية فكرية (الحضور في فكر وذهنية إنسان المغرب الأوسط)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12، د.س.
- المبروك النصوري وآخرون: مواقف المغاربة من علم الكلام والفكر الاعتزالي، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، ع11، 2018.
- محمد عبد الحليم بيشي: الاعتزال في الغرب الإسلامي، مجلة بحوث الجزائر 1، ع9، ج1، د.س.

- زاير أبو الدهاج: العقيدة والدولة في المغرب الوسيط، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بقسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012،2013.
- عمار جيدل شافعي محمد عبد اللطيف: وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري، ملتقى الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في أفريقيا وأوروبا، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ديسمبر2017.
- لحلح الزهراء: دور المنظومات العقدية في تثبيت ونشر الأشعرية بالجزائر، جامعة الأمير عبد القادر، د.ن.
- مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر، ملتقى الشيخ العربي التباني أصالة الفكر الأشعري وأثره في التماسك الاجتماعي، المجلس الإسلامي الأعلى بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية لولاية البرج، ديسمبر 2018.
- مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوث العقدية، قراءة في كتاب "العقيدة البرهانية لعثمان السلالجي (ت:574هـ)"، مقال منشور على موقع الرابطة المحمدية، على الرابط:
http://www.arrabita.ma/blog/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9% /

الهوامش:

[1]- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، ع17، 2017، ص138.

[2]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، دار الغرب الإسلامي، ط01، 1983، ص48.

[3]- الشهرستاني: الملل والنحل، تح: محمد سيد كيلاني دار المعرفة، بيروت، 1404، ج1، ص45.

[4]- المبروك النصوري وآخرون: مواقف المغاربة من علم الكلام والفكر الاعتزالي، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، ع11، 2018، ص241.

[5]- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تح: ابن تاويت الطنجي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب، ط01، ج04، ص40.

[6]- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص139.

[7]- محمد عبد الحليم بيشي: الاعتزال في الغرب الإسلامي، مجلة بحوث الجزائر 1، ع9، ج1، د.س، ص260،261.

[8]- زاير أبو الدهاج: العقيدة والدولة في المغرب الوسيط، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية بقسم الفلسفة، جامعة وهران، 2012،2013، ص82،83.

[9]- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص139.

[10]- زاير أبو الدهاج: العقيدة والدولة في المغرب الوسيط، ص84.

[11]- عبد الرزاق عمار: السلطة والعنف والجنس، نقوش عربية، تونس، ط1، 2014، ص283.

[12]- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص24.

[13]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص49.

[14]- مصطفى الشكعة: اسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط:11، 1996، ص 488.

[15]- المرجع نفسه، ص 488.

[16]- عمار جيدل-شافعي محمد عبد اللطيف: وسطية المدرسة الأشعرية المغاربية ودورها في البناء الحضاري، ملتقى الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في أفريقيا وأوروبا، معهد العلوم الإسلامية، جامعة الوادي، ديسمبر2017، ص398.

[17] - نذير برزاق، خلفات مفتاح: العقيدة الأشعرية مرجعية فكرية (الحضور في فكر وذهنية إنسان المغرب الأوسط)، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع12، د.س، ص389.

[18]- مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر، ملتقى الشيخ العربي التباني أصالة الفكر الأشعري وأثره في التماسك الاجتماعي، المجلس الإسلامي الأعلى بالتنسيق مع مديرية الشؤون الدينية لولاية البرج، ديسمبر 2018، ص65.

[19] - عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص433.
[20]- محمد أحميمد: الفكر الأشعري المغربي، EKutuBLtd، دم، دط، 2018، ص38.
[21] - مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر، ص66.
[22] - عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص434.
[23] - مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر، ص67.
[24] - لحلح الزهراء: دور المنظومات العقدية في تثبيت ونشر الأشعرية بالجزائر، جامعة الأمير عبد القادر، د.ن، ص10.
[25]- مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر، ص70.
[26]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 441.
[27]- تقي الدين المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، بيروت، ط:1، 1418 ه، ج4، ص192.
[28]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط2، 1408 هـ - 1988م، ج6، ص226.
[29]- نذير برزاق، خلفات مفتاح: العقيدة الأشعرية مرجعية فكرية (الحضور في فكر وذهنية إنسان المغرب الأوسط)، ص 392.
[30]- توفيق مزاري عبد الصمد: أثر المذهب الأشعري في الغرب الإسلامي، ص24.
[31]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص228.
[32]- مرزوق العمري: الفكر الأشعري في الجزائر: ص 70.
[33]- عبد المجيد النجار: المهدي بن تومرت، ص 404.
[34]- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، ج6، ص229.
[35]- صالح بن قربة: عبد المومن بن علي مؤسس دولة الموحدين، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ط، 1991، ص16.
[36]- محمد بن تومرت: أعز ما يطلب، تح: عبد الغاني أبو العزم، مؤسسة الغني، الرباط-المغرب، د ط،1997، ص383.
[37]- نذير برزاق، خلفات مفتاح: العقيدة الأشعرية مرجعية فكرية (الحضور في فكر وذهنية إنسان المغرب الأوسط)، ص 391.
[38]- محمد عبد الحليم بيشي: الاعتزال في الغرب الإسلامي، ص261.
[39]- أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي: شرح منظومة ابن عاشر، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، 2004، ص08.
[40]- خير الدين الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، د.م، ط15، 2002، ج4، ص326.
[41] - محمد بن سالم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتب العلمية، لبنان، ط01، 1424 هـ - 2003 م، ج01، ص145.
[42]- خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص326.
[43]- محمد بن سالم مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج01، ص145.
[44]- محمد أحميمد: الفكر الأشعري المغربي بين كتابي "الإبانة" و"اللمع"، ص38.
[45]- خير الدين الزركلي: الأعلام، ج4، ص209.
[46]- أبو عمرو عثمان السلالجي: العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية مع شرح العقيدة البرهانية لابن العقباني، تح: نزار حمادي، مؤسسة المعارف، بيروت، ط01، 2008، ص09-15.
[47]- خير الدين الزركلي: الأعلام، ص209.
[48]- مركز أبي الحسن الأشعري للدراسات والبحوت العقدية، قراءة في كتاب "العقيدة البرهانية لعثمان السلالجي (ت:574هـ)"، مقال منشور على موقع الرابطة المحمدية، على الرابط:
http://www.arrabita.ma/blog/%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%/
[49]- جمال علال البختي: عثمان السلالجي ومذهبيته الأشعرية (دراسة لجانب من الفكر الكلامي بالمغرب من خلال "البرهانية" وشروحها)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط:01، 2005، ص184.
[50]- المرجع نفسه، ص2-5.

[51]- أبو القاسم الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906م، ص: 33.
[52]- شمس الدين السخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، ج01، ص374.
[53]- رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، الجزائر، 2013، ج02، ص100.
[54]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط01، 1998، ج01، ص،93.
[55]- لحلح الزهراء: دور المنظومات العقدية في تثبيت ونشر الأشعرية بالجزائر، ص10.
[56]- محمد بن يوسف السنوسي: المنهج السديد في شرح كفاية المرد، دار الهدى، عين ملية-الجزائر، د.ط، د.ت، ص22.
[57]- سعيد عبد اللطيف فودة: تَهْذِيْبُ شَرْحِ السَّنُوسِيَّةِ أُمُّ البَرَاهِيْنِ، دار الرازي، عمان-الأردن، ط02، 2004، ص19.
[58]- أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج، دار الكاتب، طرابلس – ليبيا، ط:02، 2000 م، ص 564.
[59]- إبراهيم بن أحمد المارغني، طالع البشرى على العقيدة الصغرى، تح: نزار حمادي، د.د، د.ط، 2012، ص12.
[60]- أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ص93،94.
[61]- نذير برزاق، خلفات مفتاح: العقيدة الأشعرية مرجعية فكرية (الحضور في فكر وذهنية إنسان المغرب الأوسط)، ص 394.